

تضامن المجتمع الإسلامي في وجه الأزمات



الهدف:

بيان البرنامج الإسلامي المتكامل للتضامن في كل الأزمات التي يمكن أن يبتلي بها الناس.

مباحث الموضوع

١. الأزمات التي تواجه المجتمع
٢. كيف يواجه الناس الأزمات
٣. منهج التضامن بين الناس في الإسلام

تصدير:

«وتعاونوا على البر والتقوى»^(١)

(١) سورة المائدة، الآية ٢.

مدخل:

الإسلام ليس منهج اعتقاد وإيمان في القلب فحسب، بل هو منهج حياة إنسانية واجتماعية واقعية، يتجسد فيها الاعتقاد والإيمان ممارسة عملية في جميع جوانب الحياة ومتطلباتها الفردية والاجتماعية، وذلك على مبدأ التضامن والتراحم والتكافل والتناصح والمودة والإحسان والتضحية والإيثار.

قال الله تعالى: «وتعاونوا على البر والتقوى»^(١)، وهذا ما يلزم الأفراد بالكثير من الواجبات تجاه بعضهم البعض كإفراد، وتجاه المجتمع ككيان اجتماعي يحتضن الجميع، وأكثر ما يتجلى ذلك في الأزمات التي تواجه الناس.

الأزمات التي تواجه المجتمع:

تكثر الأزمات والمشاكل والمحن التي يمكن أن تواجه الأفراد والمجتمع البشري، وتنقسم إلى قسمين: «ما ينعكس على المجتمع ككل، وما يتأثر به شرائح أو أفراد محددة». ولكل منهما مصاديق عدة منها:

١. أزمات: اقتصادية: ناتجة عن ضعف حركة العمل

الذي ينعكس سلباً على نسب الإنتاج ومداخل المجتمع المالية، وتدنى مستوى المعيشة، وتكثر حالات الفقر عند الكثير من الناس.

٢. أزمات أمنية وعسكرية: ناتجة عن الحروب العسكرية والأمنية من بلد أو جهة على بلد آخر. فيبتلي الناس بالأزمات من الاعتداءات على الأنفس والأموال والممتلكات والأعراض.
٣. أزمات اجتماعية: ناتجة عن ابتلاء المجتمع بأمراض فتاكة وخطيرة تنعكس بأثارها على كيانه وأفراده معاً، كالسرقة، وتعاطي المخدرات، والقتل، وشيوع الفاحشة والزنا...
٤. أزمات طبيعية (تكوينية): ناتجة عن الكوارث الطبيعية التي تنعكس سلباً على حياة الناس حيث يفقدون أعزائهم وممتلكاتهم وتتضرر حياتهم.

كيف يواجه الناس الأزمات؟

طبيعة الناس الذين يبتلون بالأزمات - من أي نوع كانت- أنهم يحتاجون إلى من يقدم لهم يد العون والمساعدة المعنوية والمادية، ويساهم في بلمسة جراحاتهم ويخفف آلامهم، ما يعيد الطمأنينة والهدوء والاستقرار تدريجياً إلى حياتهم، ويعتبر تضامن الناس مع بعضهم البعض في هكذا أزمات العنصر الأهم بين كل المعالجات، كونه يستند على الرابط الإنساني الذي يعتبر الرابط الأهم بين

بني البشر في عملية التضامن. وقد وضع الإسلام منهجاً متكاملًا للتضامن بين الناس في كل الأزمات التي يمكن أن يبتلي بها الناس.

منهج التضامن بين الناس في الإسلام:

يمكن إيجاز هذا المنهج في أمور ثلاثة:

١. قضاء حوائج الناس تكليف عام: لقد وضع الإسلام منهجاً متكاملًا في العلاقات بين البشر، يقوم على أساس مراعاة حقوق أفراد المجتمع وبث روح التعاون والخدمة المتبادلة بينهم. قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ»^(٢). فالتقيد بهذا الأمر الإلهي يعصم الإنسان عن التقصير في حقوق الناس، ويدفعه للعمل الدؤوب في خدمتهم، وأداء مسؤوليته تجاههم، وقد حث النبي محمد ﷺ كل مسلم ليكون مسؤولاً في بيئته الاجتماعية، من خلال الاهتمام بأمور المسلمين ومشاركتهم في آمالهم وآلامهم، فقال ﷺ: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»^(٣)، ودعا الإمام الصادق عليه السلام إلى الالتصاق بجماعة المسلمين فقال: «من فارق

(٢) سورة النحل، الآية ٩٠.

(٣) الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١٦٣.

جماعة المسلمين قيد شبر، فقد خلع ربة الإسلام من عنقه،^(١) وحينما سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله، قال: «اتباع سرور المسلم»، قيل: يا رسول الله وما إتياع سرور المسلم؟ قال: «شبعة جوعه، وتنقيس كربتته، وقضاء دينه».^(٢)

وقد ورد في العديد من الروايات أن خدمة المؤمنين لبعضهم البعض وتعاونهم وترباطهم المادي والمعنوي أفضل من بعض العبادات المستحبة. عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «لقضاء حاجة امرئ مؤمن أفضل من حجة وحجة حتى عد عشر حجج...»^(٣).

٢. التكافل الاجتماعي: التكافل الاجتماعي جزء من عقيدة المسلم والتزامه الديني، وهو نظام أخلاقي يقوم على الحب والإيثار ويقظة الضمير ومراقبة الله عز وجل، ولا يقتصر على حفظ حقوق الإنسان المادية؛ بل يشمل أيضاً المعنوية، وغايته التوفيق بين مصلحة المجتمع ومصلحة الفرد. روي عن أبي عبد الله عليه السلام: «والله لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون لأخيه مثل الجسد إذا ضرب عليه عرق واحد تداعت له سائر عروقه»^(٤).

وقد عني القرآن بالتكافل ليكون نظاماً لتربية روح الفرد، وضميره، وشخصيته، وسلوكه الاجتماعي، وليكون نظاماً لتكوين الأسرة وتنظيمها وتكافلها، ونظاماً للعلاقات الاجتماعية، ومن هنا فإن مدلولات البر، والإحسان، والصدقة تتضاءل أمام هذا المدلول الشامل للتكافل. قال الله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْآقَرِينَ وَلِيَتَأَمَى

وَالْمَسَاكِينُ وَإِنَّ السَّبِيلَ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.^(٥)

وقد نفى الرسول ﷺ كمال الإيمان عن من يبيت شعبان وجاره جائع وهو يعلم: «ما آمن بي من بات شعبان وجاره جائع وهو يعلم»^(٦). ولقد وضع القرآن أسساً نفسية وأخرى مادية، لإقامة التكافل الاقتصادي والاجتماعي بين أفراد المجتمع الإسلامي. ولعل من أهم الأسس النفسية هو إقامة العلاقات المادية والمعنوية على أساس الأخوة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا

المؤمنون إخوان﴾^(٧). وجعل العدل وحفظ الحقوق من قيم الدين الأساسية، بل نُدب إلى عدم الاقتصا على العدل وهو إحقاق الحق، أو إعطاء كل إنسان حقه من دون ظلم، وإنما الارتقاء إلى الإحسان، وهو التنازل له عن بعض الحقوق. ومن الأسس النفسية أيضاً، الإيثار، وهو تفضيل الآخر على النفس، من أجل إشاعة العفو والرحمة. ولهذا جعل الإسلام كل مسلم مسؤولاً في بيئته الاجتماعية، قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»^(٨)، ودعا ﷺ إلى الاهتمام بأمور المسلمين ومشاركتهم في أمالهم وألامهم، فقال: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»^(٩).

٣. وجوب نصرة المظلوم في الإسلام: لقد ربى الإسلام أبناءه على استشعار أنهم أفراد في مجموعة وأنهم أجزاء من هذه الجماعة الكبيرة، فالمسلم بشعوره أنه جزء من الجماعة يجب للأجزاء الأخرى مثل ما يحب لنفسه. وإن انتماء المسلم للجماعة يترتب عليه حقوق وواجبات، ومن أعظمها واجب التضامن بين

المسلمين. قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل: «وعزتي وجلالي لأننتقم من الظالم في عاجله وأجله، ولأننتقم ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره فلم ينصره»، وقد أوصى الإمام علي عليه السلام ولديه الحسن والحسين عليه السلام بقوله: «وكونا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً»، وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «اللهم إني أعوذ بك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره...»^(١٠).

وللتناصر أهمية عظيمة في حياة الأمة، وبدونه يصبح المجتمع الإسلامي مكشوقاً أمام أعدائه مُعَرَّضاً للهزيمة وعلى العكس من ذلك؛ فإن التزام أبناء المجتمع بنصر الله من ناحية ونصرة بعضهم البعض من ناحية أخرى، يؤدي حتماً إلى فوز المسلمين بكل خير، وظهورهم على عدوهم تحقيقاً لوعده الله عز وجل: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾^(١١). ولهذا اعتبرت النصرة من واجبات كل مسلم تجاه كل مسلم.

وكان النبي ﷺ يشدحهم المسلمين ويحثهم على نصرة المظلوم مبيناً أن الجزاء سيكون من جنس العمل: «ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمة، إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمة، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته». وعن رسول الله ﷺ: «من أخذ للمظلوم من الظالم كان معي في الجنة مصاحباً»^(١٢).

والحمد لله رب العالمين



(١٠) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه بالتوبة، ص ١٦٢.
(١١) سورة الحج، الآية ٤٠.
(١٢) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٣٥٩.

(١) الكافي، ج ١، ص ٤٠٥.
(٢) الحر العاملي، وسائل الشريعة، ج ١٦، ص ٢٥٦.
(٣) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٢٨٤، ج ٤.
(٤) النوري، مستدرک الوسائل، ج ٩، باب وجوب أداء حق المؤمن.
(٥) سورة البقرة، الآية ٢١٥.
(٦) الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٦٦٨.
(٧) سورة الحجرات، الآية ١٠.
(٨) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٣٨.
(٩) الكافي، ج ٢، ص ١٦٢.